الدرة اليتيمة

كتاب

من

حكم الكاتب البليغ الاشهر اديب

عبد الله بن المقفع

ومعها مقدمة

بقلم

سعادة الامير شكيب أرسلان

(تطلب من)

محمود علي صبيح

صاحب مطبعة المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر

الدرة اليتيمة

من

حكم الكاتب البليغ الاشهر

عبد الله بن المقفع

ومعها مقدمة

بقلم

سعادة الامير شكيب أرسلان

﴿ تطلب من ﴾

محمود علي صبيح

صاحب ومدير المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

مقدمة الكتاب

لحضرة الفاضل الاديب — الامير شكيب ارسلان

الكاتب العربي المشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

ابدأ بحمد الله المنشيء البديع على مزيد نواله واشفع بالصلاة على رسول الله السيد الشفيع وعلى صحبه وآله (وبعد) فقد رأينا اخواننا طلاب العربية اعظم ما كانوا عليها منذ امد اقبالا واشد ما عانوا في تحرى فوائدها ايجافا وايغالا واحث مما وجدناهم في سبيلها اجتهادا وابصر ما عهدناه في مظان تحصيلها ارتيادا رأينا الجم الغفير منهم والحق يقال دائبا في اصلاح لغته وتثقيف ملكته حريصا على تقويم لسانه واحكام بيانه متوخيا طرق الانطباع على بليغ الكلام منتهجا خطط الوصول الى الطبقة العاليه من القول مما يجب ان يلتمس في كتب السلف وينشد في منشآت الاولين من اهل هذا اللسان السابقين في حلبة البيان بالا ستكثار من حفظ تراكيبهم وتحدى اساليبهم ومحاكاة

نغمتهم والاحتذاء على امثلتهم حتي تتحصل للمعانى منهم
ملة راسخة يصدر عنها في انشائه فلا يكون من شأنه ان
يعلو ويسفل ويغلو ويبذل ولكنه يجرى على نمط متناسب
ونفس في قالب واحد وكانت هذه الغايه وتلك الغاية
بصناعة الانشاء عموما وبهذا النوع المرسل منه خصوصا
أجدر ما تصرف نحوه الهمةوافضل ما تثنى اليه الازمة لا
سيما في هذا العصر الذي ازدحمت فيه المعانى وتعددت
المناجى وتضاعفت المقاصد واختلفت المواضيع وتوسع فيه
من امكنه القول ماكان من قبل حرجا واوجد فيه ما لم
يكن موجودا واخرج ما لم يكن مخرجا وهو الذى
اشتبكت فيه الوسائل وائت العلائق وتطالعت العقول
وتكاشفت الالباب وتشارفت المعارف المتباينه وتشاركت
المدارك المتنابذه حتى أن الامم امة واحد ٥ وكان الامة
فرد واحد في تناول البعيد وتقيد الشارد والاحاطة
كالمجهول فتداعت من اجل ذلك المعانى من كل جانب
بالسيل المتدفق والعارض المغدق على رؤوس الكتاب لا

تجد منصرفا الا من صنابير الاقلام وأنابيب اليراع وقد كان مكان الانشاء كما كان على ادائه من العناية حقه وتوفيره من المزاولة قسطه والزمان على غير هذا الوضع ونطاق العلوم اضيق ومقاصد الكلام ولا ريب في كثير اقل ومواطن التعبير تكاد تكون محصورة في جم من المواضيع فكيف بالكاتبين والمعربين من اهل هذه الايام وقد لزمهم من ادوات الكتابة بعض ما لم يلزم غيرهم واعترضهم كثير من عقباتها التي لم تعترض من قبلهم ومست بهم الحاجة الى استغراق سيل هذه المعاني بمادة غزيرة وعدة متينة من الالفاظ على نسق محمود من التراكيب فان المعاني اذا كثرت على الالفاظ ضاق دونها ذرع الكتبه فذهبوا في ابرازها الى الخلق وعرضها على الاذهان مذاهب الضعف ومسالك السخف فاقسووا لغتهم واعجموا منطقتهم واذا كثرت الالفاظ على المعاني بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ولها المشتغلون بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته فكان العى والحصر احسن منه فكانت البغية كل البغية في

تناسب القوتين وتعادل المتنين وتضارع المادتين حتى يتوفر
لكل معنى نديده من اللفظ ويتسنى بازاء كل مغزي ضريبه
من السبك ويودع كل خاطر قالبه الاليق ويلبس كل فكر
ثوبه الالبق وهي غاية من ابعد البعيد وعقبة عنود لدي
التصعيد ولكنها رأس النصح في خدمة اللغة واول الواجب
في حق اللسان وانما يتذرع الى تسهيلها وتمهيد طرق تحصيلها
بادمان النظر وادامة السهر فى التطبع على بلاغة الاولين
وتقليد مناهج السالفين وكذلك كان اسنى ما تخدم به هذه
اللغة الشريفة لهذا العهد اثارة دفائن كنوزها ونفض كنائن
رموزها واستخراج جواهرها التى احرزمنها النزر اليسير وبقي
الجم الكثير وانه لو لم يكن بين ايدينا وأيم الله كلامه القديم
وحديث رسوله عليه التحية والتسليم وانهما بهذا اللسان
لحكمنا بان هذه العربيه لم تزل بكرا لم تفترع وسرا لم تخترع
لقلة ما وصل الى ايدي طلابها من نفائسها وكثرة ما احتجب
عن اعين خطابها من عرائسها فان اكثر مشاهير الكتاب
ومصاقع الخطباء من اهل المئات الاول بعد الهجرة لم تظفر

الايدى بكلامهم الا قليلا منه منثورا في بعض التآليف والمجاميع متفرقا منقطعا بعضه عن بعض مع انهم العمدة في هذه الغاية والقدوة فى هذا السبيل والناس في الادب انما تلتقط من فضلات مآدبهم وترشف من اسار مشاربهم ولذلك جعلت من بعض همى مع عدم اتساع البال ونصب النفس لهذه الاشغال التنقيب عن بعض آثار القوم اهل هذا الشأو البعيد والشأن الخطير حتي ظفرت وانا في هذه الايام بدار الخلافة العظمي بجمله من الكتب منها هذه الدرة اليتيمه لعبد الله بن المقفع المنشيء المشهور معرب كتاب كليله ودمنه فاخترت عموم الفائده بطبعها لانها مع صغر حجمها قد جمعت بين اعلى طبقات البلاغة واسمي درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ والحجج الدوامغ مالم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها فكانت حرية بان يتخذها الكاتب منتجع لبه وحماطة قلبه وان يجعلها دستور انشائه ومثال احتذائه وحقيقة بان يتخذها الانسان نصب ناظره وشغل خاطره يهتدي بنور حكمها في ظلم المعاضل ومدلهمات المشاكل

ويتدرب بما اوضحته من سبل التصرف الحكيمة ونهجته من جواد الكمال القويمة على امتزاج لحكمتها بقواعد الكون ودخولها تحت طور الطوق وما انا محدث عن بن المقفع وهورب هذا الامر وواسطة هذا العقد وفي شهرته ما يغني عن الافاضة والاشادة وفي الاطلاع على هذه الرسالة ما يكفى الشاهد مؤنة الشهادة ولعمرى لو استفرغ مجتهد وسعه فى اهداء ارباب الاقلام طرفة تعجبهم فقصاراه نشر كلام مثل ابن المقفع اذ لا يجد في هذا الباب اجزل لهم نفعا ولا اسنى لديهم وقعا ولذلك كان لا شبهة عندى في ان ما توخيه من الفائدة يلاقى اقبال الطلاب ويقتضي ثناءهم بحسن الانتخاب فقد يكون من فضل المرء في حسن انتقائه ما يربو على فضله في حسن انشائه اذ كان من الاختيار ما هو انطق بالفضل وادل على العقل على حد قول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

ترجمة ابن المقفع

هذا ما اخترنا تلخيصه عن وفيات الاعيان في امر صاحب هذه الرسالة فهو عبدالله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من اهل فارس وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن على عم السفاح والمنصور العباسيين ثم كتب له واختص به ومن كلامه (شربت الخطب ريا ولم اضبط لها رويا ففاضت ثم فاضت فلا هى نظاماً وليست غيرها كلاماً) قال الهيثم بن عدى جاء ابن المقفع الى عيسى بن على فقال له قد دخل الاسلام فى قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام موسى عشية فجلس ابن المقفع يا كل ويزمزم(١)

---

(١) الزمزمه تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ولكنه صوت تديره في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض (القاموس)

على عادة المجوس فقال له اتزمزم وانت على عزم الاسلام
فقال كرهت ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يده
وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكي الجاحظ ان
ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحى ابن زياد كانوا يتهمون
في دينهم قال بعضهم كيف نسى الجاحظ نفسه وقال الاصمعى
قيل لابن المقفع من أدبك قال نفسى اذا رأيت من غيرى
حسنا اتيته وان رأيت قبيحا ابيته واجتمع ابن المقفع بالخليل
ابن احمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف
رأيته قال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت
الخليل فقال عقله اكثر من علمه ويقال ان ابن المقفع هو
الذى وضع كتاب كليله ودمنه وقيل انه لم يضعه وانما كان
بالفارسية فنقله الى العربية وان الكلام الذى في أول هذا
الكتاب من كلامه وقال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيرا
من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف فى
فنها مثلها هذا وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معوية
ابن يزيد بن الملهب بن ابى صفرة امير البصرة وينال من عرضه

وكثر ذلك منه وذكر الهيثم بن عدى انه كان يستخف بسفيان كثيرا وكان انف سفيان كبيرا فكان دخل عليه فقال السلام عليكما يعني نفسه وانفه وقال له يوما ما تقول في شخص مات وخلف زوجا وزوجة يسخر به وقال سفيان يوما ما ندمت على سكوت قط فقال ابن المقفع الخرس زين لك فكيف تندم عليه فكان سفيان هذا شديد الحنق عليه يترقب فرصة لقتله وكان عبد الله بن على العباسي قد خرج على بن اخيه المنصور فارسل اليه المنصور جيشا مقدمه ابو مسلم الخرساني فانتصر عليه وهرب عبد الله بن على الى اخويه سليمان وعيسى فاستتر عندهما فتوسطا له عند المنصور فقبل شفاعتهما فيه واتفقوا على ان يكتب له امانا وهذه الواقعة مشهورة في التواريخ فلما ان اتيا البصرة قالا لعبد الله بن المقفع اكتب انت وبالغ في التأكيد كيلا يقتله المنصور فكتب ابن المقفع الامان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق ودابه حبس وعبيده احرار

والمسلمون في حـل من بيعه وكان ابن المقفع يتنوع في
الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال
من كتب هذا فقالوا رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب
لاعمامك فكتب الى سفيان متولى البصرة المتقدم ذكره
يأمره بقتله وكان صدر سفيان موغرا منه فقتله شر قتلة
واختلفت الروايات في كيفية قتله فقيل انه امر بتنور فسجر
ثم امر به فقطعت اطرافه عضوا عضوا وهو يلقيها فى التنور
وهو ينظر حتي اتى على جميع جسده وقيل القاه في بئر
الخرج وردم عليه الحجاره وقيل بل ادخله حماما واغلق عليه
الباب فاختنق وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل
دار سفيان سليما ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه
اليه مقيدا وحضروا الشهود الذين شهدوا وقد دخل داره ولم
يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور انا
انظر في هذا الامر ثم قال ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج
المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ماترونى
فاعلا بكم فاقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب

عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان يرضى المنصور
ويقال انه عاش ستا وثلثين سنة وكان قتله سنة اسنتين
واربعين ومئة وقيل سنة خمس واربعين سنه وقيل ان سليمان
بن على العباسى توفى سنة اثنتين واربعين وعلى هذا تكون
الرواية الاولى هى الصحيحة ولابن المقفع شعر مذكور في
كتاب الحماسة والمقفع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء
وفتحها واسمه دادوية وكان الحجاج ولاه خراج فارس فمد
يده الى الاموال فعذبة فتقفعت يداه فسمى بذلك وقيل بل
ولاه خالد بن عبد الله القسرى وعذبه يوسف بن عبد الله
بن عمر الثقفي لما تولى العراق بعد خالد وقال بن مكى في
كتات تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب بكسر
الفاء لانه كان يعمل القفاع ويبيعها والقفاع بكسر القاف
جمع قفعه بفتح القاف شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل
لكنه بغير عروة والقول الاول هو المشهور بين العلماء
(انتهي بتصرف)

شكيب ارسلان

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيا محمد وآله الطاهرين
قال عبدالله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً
واوفر مع اجسادهم احلاماً واشدقوة واحسن بقوتهم للامور
اتقانا واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختبار أفكان
صاحب الدين منهم ابلغ في امر الدين منا وكان صاحب
الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا
بما فازوا به من الفضل حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من
علم الاؤلى والآخرة فكتبوا به مؤونة التجارب والفطن
وبلغ من اهتمامهم بذلك ان الرجل منهم كان يفتح له الباب
من العلم والكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول
فيكتبه على الصخور مبادرة منه للاجل وكراهية . لان

يسقط ذلك على من بعده (١) فكان صنيعهم في ذلك صنيع
الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذى يجمع لهم الاموال
والعقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونه في الطلب
وخشية عجزهم ان هم طلبوا فمنتهي علم عالمنا في هذا الزمان
ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدى بسيرتهم
واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم
فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذى نجد
في كتبهم هو المنتحل في آرائهم والمنتقى من احاديثهم ولم نجدهم
غادروا شيئاً يجد واصف بليغ في صفة له مقالا لم يسبقوه
اليه لا فى تعظيم لله عز وجل وترغيب فيما عنـــده ولا في
تصغير الدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم
اقسامه وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذها
وفي وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الامر

---

(١) أى يفوته واصله من سقط من كل على الآخر بان يتحدث
الواحد وينصت الآخر (٢) جمع عقدة وهى العقار الذى اعتقده
صاحبه ملكا

لقائل بعدهم مقال وقد بقيت أشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

ياطالب الادب أعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دركهم دركا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان اصاب بعد احراز الاصول فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدى الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم أنه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه فى الدين والعبادة فهو افضل وأكمل * وأصل الامر في اصلاح الجسد الا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه الا خفافاً وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل واصل الامر في البأس الا تحدث نفسك بالادبار واصحابك

مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون أول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو أفضل * وأصل الامر في الجود الا تضن بالحقوق عن أهلها ثم ان قدرت ان تزيد الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل اذ وصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل واصل الامر في المعيشة ان لا تني عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفقاً ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضه التي لو حنكتك سن كنت خليقا ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولا لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجرى على عادة مساويها فان

الانسان قد تبتدر اليـه في شبيبته المساوى وقد يغلب عليه ما يبدر منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعـلم ان مـن العجب ان يبتلى الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات دعته وشهوته وانما الرأى له والحق عليه ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونساؤه فأذا تقلدت شيئا من الاعمال فكن فيه احد رجلين امـا رجلا مغتبطا به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلا كارها فالكاره عامل فى سخرة امـا للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره واياك اذا كنت واليا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يتقحمون عليك منهـا وبابا يفتتحونك منه وغيبة يغتـابونك بهـا ويضحكون منها — اعـلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذى يحمله على ردة فان الراد له محمود والقابل له معيب لتكن حاجتك في الولاية

الى ثلاثة خصال رضى ربك ورضى سلطان ان كان فوقك ورضي صالح من تلى عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بداً

اعرف اهل الدين والمروءة فى كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يقذفن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر الناس منك الحاجة الى رأى غيرك فانك لست تريد الرأى للافتخار به ولكن تريد للانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوى الرأى

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لايدرك وكيف يتفق لك رأى المختلفتين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوى العقل فانك متي

تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

لاتمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم [1] لتعرف رعيتك أبوابك التي لا ينال ماعندك من الخير الا بها والابواب التى لا تخافك خائف الا من قبلهـا احرص الحرص كله على ان تكون خبير بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعملك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لاتعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ولاتسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه او يستخف له شان لاتتركن مباشرة جميـع امرك

---

(١) يقال عاب له كعابه

فيعود شأنك صغيرا ولاتلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعا اعلم أن رأيك لايتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لايغني الناس كلهم فاختص به ذوى الحقوق ✲ وان كرامتك لاتطيق العامة فتوج بها اهل الفضائل * وان ليلك ونهارك لايستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائهما سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحس قسمتهما بين دعتك وعملك * واعلم انك ماشغلت من رأيك بغير المهم ازري بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضربك في العجز عن اهــل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازري بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناسا كثيراً يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجــه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لاذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الادون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى أن يتبرع بالامر

ذى الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنـــده .ويعطى من لم يكن اعطاه ويكرم من لاحق له ولامودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالا من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بهـــذه الصفة من يلتبس بعقله او يتخبطه المس ان يعاقب في غضبه غير من اعضبه ويحبو عند رضاه غير من ارضاه لـــكان جائزا في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوي فاما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذى يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الاقرار والتسليم واماملك الحز م فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى واما ملك الهوي فلعب ساعة ودمار دهر

اذا كان سلطانك عند جـدة دولة فرأيت امر الاستقام بغير رأى واعوانا جزوا بغير نيل وعملا انجح بغير حزم

فلا يغرنك ذلك فلاتستنم اليه فان الامر الجديد مما ان تكون
له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم
بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل
ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الامر
بنى على غير اركان وثيقة ولا عاد محكم ان يتداعي اوشك ويتصدع

لاتكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة
والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من السخف

اذا كنت لاتضبط امرك ولاتصول على عدوك الابقوم
لست منهم على ثقة من رأى ولا حفاظ من نية فلا تنفعك
نافعة حتى تحولهم ان استطعت الى الرأى والادب الذى
بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد
ولاتغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذى
يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته
وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على
غير ما يريد وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذرا فى

تخوف الفقر وليس له ان يكون حقودا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس فليتق ان يكون حلافا واحق الناس باتقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عي بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوا ووصلا واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لايقبل منه قوله الا جهد اليمين وأما عبث فى القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوض ما دون ذلك الى الكفاة

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان الحسن ويحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذى ما وقع في قلبه ربما مع ما يقيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالى الذى ما

قال اوفعل كان امرا نافذا غير مردود

ليعلم الوالى ان الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التى يوصفون بها

ليتفقد الوالى فيما يتفقد من امور الرعيه فاقة الاحرار منهم فليعمل فى سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع لا يحسدن الوالى من دونه فانه في ذلك اقل عذراً من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكل لاعذر له * لايلومن الوالى على الزلة من ليس يتهم على الحرص على رضاه الا لوم ادب وتقويم ولا يعدلن بالمجتهد في رضاه الا البصير بما يأتى احدا فانهما اذا اجتمعا فى الوزير اوالصاحب انام الوالى واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هدأعنها وعمل فيما يهمه وان غفل ع ه * ولا يولعن الوالى بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيبا موفورا يروح به عن قلبه ويصدر به اعماله * لايضيعن الوالى التثبت عند مايقول

وعندما يعطى وعند ما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأنى فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبيت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث ☆ ليعلم الوالى ان الناس على رأيه الا من لا يال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فيستكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الارض

جميع ما يحتاج اليه الوالى رأيان رأى يقوى سلطانه ورأي يزينه في الناس ورأى القوة احقها بالبداية واولاهما بالاثرة ورأى التزين احضرهما حلاوة واكثرهما اعوانا مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطه في غير معانيه ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاونا ● اذ رأيت أحدهم يجعلك اخا فاجعله أبا ثم ان زادك

فزده ☆ اذ نزلت من ذى منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيرا واجلالا من غير ان يزيدك ودا ولا نصحا وانك ترى حقا له التوفير والاجلال وكن فى مداراته والرفق به كالمؤتنف (١) ما قبله ولاتقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدل على ذى السلطان بقدمه قد أضر به قدمه * لا تعتذرن الا الى من يحسب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك . لا تحدثن الا من يرى حديثك مغنما مالم يغلبك الاضطرار . اذا غرست من المعروف غرسا وانفقت عليه نفقة فلا تضنن بالنفقة في ربية ماغرست فتذهب النفقة الاولى ضياعا . اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجه مشرق طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة

اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينة في الرخاء وعدة في الشدة . ومعونة على المعاش والمعاد فلا

---

(١) ائتنف واستأنف واحد

تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم. اعلم
انك واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك
وبينهم بعض الابهة التى قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم
كثيرا ممن يرغب في امثالهم فاذا رأيت احداً من اولئك قد
عثر به الزمان فاقله. اذا عرفت نفسك من الوالى بمنزلة الثقة
فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة
فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس
فلا تأل عما عظمه ووقره . ان استطعت الا تصحب من صحبت
من الولاة الا على شعبة من قرابة اومودة فافعل فان اخطاك
ذلك فاعلم انك تعمل على عمل السخرة وان استطعت ان تجعل
صحبتك لمن عرفت منهم بصالح مرؤتك قبل ولايته فافعل ان
الوالى لاعلم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولى
فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يثنى
عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال هم اشد لذلك
تصنعا وعليه مكابرة وفيه تمحلا فلا يمتنع الوالى وان كان
بليغ الرأى والنظر من ان ينزل عنده كثير من الاشرار

بمنزلة الاخيار وكثير من الخونة بمنزلة الامناء وكثير من الغدرة بمنزلة الاوفياء ويغطي عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحل والتصنع. لا يعرفنك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية اومشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشعرنه بشيء من الهوي فان الرأى يقبله منك العدو والهوى يرده به عليك الوالد واحق من احترست من ان يظن بك خلط الرأى بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة وكفر ان ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم انك قد خيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اما ميلك مع الوالى على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب. واعلم انه لا ينبغي لك وان كان الوالى غير مرضى بالسير اذا علقت حبالك بحبله الا المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلا ✡ تبصر ما في الوالى من الاخلاق التى تحب والتى تكره وما هو عليه من الرأى الذى يرضي له والذى لا يرضى ثم لا تكابره بالتحويل له عما

يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان هذه رياضة صعبة تحمل
على التنائى والقلى * واعلم انك قلما تقدر على رد رجل
عن طريقته التي هو عليها بالمكابره والمناقضة وان لم يكن
يجمح عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه
وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا قويت منه المحاسن كانت هي
التي تكفيك المساوى واذا استحكمت منه ناحية من الصواب
كان ذلك هو الذى يبصره الخطأ بالطف من تبصيرك
واعدل من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضا
ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطاء فاحفظ
هذا الباب واحكمه * ولا يكونن طلبك ماء عند الوالى بالمسألة
ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له
واستأن وان طالت الاناءة فانك اذا استحققته اتاك من غير
طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له لا تخبرن الوالى ان لك
عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك
وبلاءك فافعل * وليكن ماتذكره من ذلك تجديدك له
النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر يذكره

اول بلائك ✿ واعلم ان ولى الامر اذا انقطع عنه الآخر نسى الاول وان الكثير من اولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الاعمن رضوا عنه واغنى عنهم فى يومهم وساعتهم * اياك ان يقع في قلبك تعتب على الوالى اواستزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليما وبدا على لسانك ان كنت سفيها وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك لآمن الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالى فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبرا او تلتمس مرضاته مستصعبا . اعلم ان اكثر الناس عدوا مجاهرا جريئا واشيا وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غير انه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل و المنازل وهم وغيرهم من عدوه الذين هم حضاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه

المكتتم منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحالة والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح عن قلبك كانه لاعدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولى الامر بسوء في وجهك او في غيبك فلا يرين منك الولى ولا غيره اختلاطا لذلك ولا اغتياظا ولا يقعن ذلك منك موقع ما يكرثك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك امورا مشتبهة بالريب مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطرك الامر في ذلك الى الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشكن في ان القوة والغلبة للحليم ابدا * لا تحضرن عند الوالى كلاما لايعنى ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جوابا بالشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالى شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ فى سخط ولا بأس جانب المسخوط عليه والظنين به عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرن له عذرا ولا تثنين عليه خيرا عند

أحد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من الاعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو ُن يان له الوالى واستيقنت أن الوالى قد استيقن بمباعدتك اياه وشدتك عليه فضع عذره عند الوالى واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف * ليعلم الوالى انك لا تستكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك أن تقدم اليه القول عن بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التى يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب وأشباه ذلك

اذا أصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تغيراً على أحد من أهله وأعوانه ولا استغناء عنهم فانك لا تدري متي ترى ادنى جفوة فتذل لهم فيها وفى تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه .

ليكن مما تحكم من أمرك ان لا تسار أحداً من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يخيل كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة(١)

(١) الحقد والعداوة

ووغراً وثقلا

لا تهاونن بارسال الكذبة عند الوالى أو غيره في المزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأ بى به.
تكب فيما بينك وبين الوالى خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن أثر أو صواب رأى انه هو عمل في ذلك وأشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت أن يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلا عن انك تدعى صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل * فان الذى أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معطر باضعاف

اذا سأل الوالى غيرك فلا تكونن أنت المجيب فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل.
وما أنت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت أو قال لك المسؤول عند المسأله يماد له بها دونك فأجب. واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعم بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب

ـــكلام واتبة فان في ذلك مع شين التكلف والخفة انك
اذا سبقت القوم الى الـكلام صاروا لـكلامك خصماء
فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته
للقوم اعترضت أقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما
عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً
واستدبرت به أقاويلهم حتي تصيخ اليك الاسماع ويهدأ
عنك الخصوم وان لم يبلغك الـكلام حتى تكتفى بغيرك
أو ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك
ولا من الغبن فى نفسك فوت ما فاتك من الجواب فان صيانة
القول خير من سوء وضعه وان كلمة واحدة من الصواب
تصيب موضعها خير من مائة كلمة أمثالها في غير فرصها
ومواضيعها مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء
التقدير وان ظن صاحبه ان قد أتقن وأحكم

واعلم أن هذه الامور لا ينال الا برحب الذرع عند
ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة أو لم
تظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف

من المتقلبين والحساد والطالبين بحيث هو شانك في ذلك

واحذر اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه

بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر

هذه الخصلة من نفسك وتعاهدها فيه [illegible]

ليكن [illegible] الرفق بمن تنظر اليك من اعوان السلطان ودخلائه واتخذهم

اخوانا ولا تتخذهم الى [illegible] ولا تنافسهم فيما [illegible] يتقربون

بها الى العمل حتى يرتقون به [illegible] انك لن تخلو في ذلك من رجلين اما ان

يكون عندك له فضل على [illegible] فسوف [illegible] ذلك

تولي ما تحتاج اليه [illegible] اما ان لا يكون ذلك

بعد [illegible] عندهم [illegible]

لو ما [illegible] افقتك [illegible] ولينك [illegible] موافقتهم

[illegible] المنافسة والمناظرة

ولا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك

ومعرفتهم بالفضل [illegible] فانا قد رأينا [illegible] الناس [illegible] فضل

الرجل [illegible] فاذا حضروا

عند السلطان لم يرضوا [illegible] ان يقر [illegible] يكون له [illegible] عليه

في الرأى والعلم فضل فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض فان
ناقضهم كان كأحدهم وليس بواجد فى كل حين سامعا فهما
وقاضياً عدلا وان ترك مناقضهم صار مغلوب الراى مردود القول
اذا أصبت عند الوالى لطف منزلة لغناء يجده عندك
وهوى يكون لك فيك فلا تطمحن كل الطماح ولا تزينن
لك نفسك المزايلة له عنه اليقين وموضع ثقته وسره قبلك
بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد
يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذى السلطان حتى يحدث الرجل
منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه
اونقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من
السوقة اليف وانيس قد عرف روحه واطلع على قلبه
فليست عليه مرونة في تبذل يتبذل له عنده او رأى يستزله
منه او سر يفشيه اليه غير ان تلك الآنسة وذلك التبذل
يستخرج من كل واحد منهما مالم يكن ليظهر منه عند الانقباض
والتشدد ولو التمس ملتمس مثل ذلك عند من يستأنف
ملاطفته وموآنسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم يجد

عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأى ممن قد كفى مؤانسته ووقع على طبـاعه لان الانسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يلتطاء بالقلوب الا مالان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل أمراً ذا مؤونة فاذا كلفتـك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك أو غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروءة أنك أولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذى عليه من حق اليفه وثقته وانيسه في التكرمة والذى يعينه على ذلك من الرأى يجد عنده من الالف والانس اليس واجدا عند غيره فليكن هذا مما تتحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأى لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون انيسك واليفك وموضـع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث اما عن بلد من البلدان اوضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف

الناس اووجه من وجوه الرأى وعند ما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند أول الامر خاصة لاتشكون الى وزراء السلطان ودخلائه مااطلعت عليه من رأى تكرهه فانك لا تزيد على ان تفطنهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالى والخاصة لا محالة ان يرى من الوالى مايخالفه من الرأى في الناس والامور فاذا اثر أن يكره كل مايخالفه اويمتعض من الجفوه يراها في المجلس او النبوة فى الحاجة او الرد لرأى اوالادناء لمن يهوى ، ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالى وغيره فيكون ذلك لفسادمنزلته سبباً فذلل نفسك باحتمال ماخالفك من رأى الودة وقررها بأنهم انما كانوا أولياءك لتتبعهم في آرائهم وأهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغضب من خلافهم اياك

اعلم أن الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم مشفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا أجواداً فان

كنت مبخلا غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخياً لم تأمن أضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأى لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تترك من تبخيل صاحبك بأن لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلا الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجو أن يزينه وينفعه ✿ لا تكونن صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وما افقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى أن لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموك وتخفي ما أطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا ساءوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا أحسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويها والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً والمباعدة لما باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه

والتخفيف عنهم لمؤونتك والاحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالمجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان من يأخذ عملهم يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة . انك لا تأمن أنفهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان حدثتهم ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك وان زايلتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستامرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم مالا تطيق فان كنت حافظا ان بلوك جلدا ان قربوك أميناً لمنافعهم ذليلا ان ظلموك راضيا ان أسخطوك والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل واحد ان سمعت من صاحبك كلاما أو رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس واكتف من التزين بان تجتنى الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه ✲ واعلم ان انتحالك ذاك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عارا فان بلغ ذلك بك ان تشير برأى الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشى في الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك او تنسب اليه رأيه كلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت لا يكونن من خلقك ان تبتدىء حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روأت فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف . اخزن عقلك وكلامك

الا عند اصابة الموضع فانه ليس فى كل حين يحسن كل الصواب وانما تمام اصابة الرأى والقول باصابة الموضع فان اخطاءك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تأتى به ان اتيت به في غير موضع وهو لا بهاء ولا طلاوة له لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول . ان آثرت ان تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد أو قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جداً فانك ان خلطت بالجد هزلا هجنته وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير انى قد علمت موطنا واحداً فان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل إصبت الرأى وظهرت على الاقران. ذلك ان يتورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو أحد رجلين ان كان رجلامن اخوان الثقة فانفع مواطنه

لك اقربها من عدوك لشر يكفيه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأى حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى . تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفسا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأى مداراة لئلا يظن أصحابك أن مابك التطاول عليهم إذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك الا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه ✡ لاتكثرن ادعاء العلم في كل مايعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف واما لا ينازعوك ويخلوا الامور فى يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة ✡ استحى الحياء كله من أن أن تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً أو معرضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنست

من نفسك فضلا فتحرج أن تذكره أو تبديه واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك فى قلوب الناس من العيب اكثر مما يقدر لك من الفضل وأعلم انك أن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفين عليك أن حرص الرجل على اظهار ماعنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم ✫ ان احببت أن تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى حلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذى لاجبار فيه ولا عثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعى . فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفى عنك الحسد وأما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رأيت رجلا يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تعتبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحاً وسوء آدب وخفاء . ليعرف اخوانك والعامة انك أن استطعت أن تكون الى أن تفعل ما لاتقول اقرب

منك الى أن تقول مالا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عار وهجنة وفضل الفعل على القول زينة وأنت حقيق فيما وعدت من نفسك أو أخبرت صاحبك عنه أن تحتجن بعض مافي نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلماً يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكيم الذى قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك لان العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاء

اجعل غاية تشبثك في مواخاة من تواخي ومواصلة من تواصل ووطن نفسك على انه لاسبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ماتكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذراً نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارته

غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئــاد والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترتاه لاخائك فان كل اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمرآء ولاحريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب ولاشرير ولامشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لايكون اخاً صادقاً لان الكذاب الذى يجرى على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجه لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شانع صاحبه . تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء ولا وهو ريح جنة تسلب العقل ويذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك (١) عن الناس يكسبك العداوة وان

---

(١) عدم المروءة

تفرشك لهم يكسبك صديق السوء وفشولة الاصدقاء اضر
من بعض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك
جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك من ذلك
من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تنمى والمعاذير
لا تمني . البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا
عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة
فلا تلبسن الا متحفظا متشددا متطرزا مستعدا ولباس
انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتلقاهم
بينات صدرك وتفضى اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك
مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم وأهل هذه الطبقة
الذين هم أهلها قليل لان ذا الرأي لايدخل احد من نفسه
هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة
ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلبه يتغالب عليه عقلك وغضبك
وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع وصارفه فى
محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه شيء

من أشباه ماسميت لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكن الا لك ولا يستولى عليه اويشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمواساة فتشاركه في البلية وأما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التى تأبى مشاركة اخيك فيها فاجمل فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعة او كان لك عليه طول فالتمس احياء ذلك باماتته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن في قلة المن على ان تقول لا اذكره ولا اصغي بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستخفي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالسائك اياه وما

تكليمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف . احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء فاما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا أن الرجل القوى اذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت لم يلبث أن يميتها حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما تستورى عند القدح ثم لا يبدأ ضررها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يكاد يخطئك فان الصبر صبران صبر

الرجل على مايكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه أكثرهما واشبههما أن يكون صاحبه مضطراً واعلم أن اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً أو رجله قوية على المشى أو يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوباً وللامور محتملا وفي الضر مجملا ولنفسه عند الرأى والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركا وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين واحدهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذى هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في الباب ✡ عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوة نفس الرجل عما في يديه وسخاوته عما في ايدى الناس وسخاوة

نفس الرجل بما في يديه اكثرها واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه مافي ايدي الناس امحض في التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبدل وعطف فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون حسودا فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يؤكل بالادنى من الاقارب والاكفاء فليكن ما تقابل به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنما لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وأفضل منك في الدين فتزداد صلاحا بصلاحه. ليكن ماتنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لاينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

أعلم ان أعظم خطرك ان ترى عدوك انك لا تتخذه

عدوا فان ذلك غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت
قدرت فاستطعت اغتفارا لعداوته عن ان تكافيء بها فهنالك
استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئا بالعداوة والضرر
فاياك ان تكافيء عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة
بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار واعلم مع ذلك انه
ليس كل العداوة والضرر يكافيء بمثله كالخيانة لا تكافيء بالخيانة
والسرقة لا تكافيء بالسرقة ومن الحيلة في امرك ان تصادق
اصدقائه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق
والتجافي فانه ليس رجل ذو طرق يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست
ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير ذوى طرق فلا عدو لك ✿ لا
تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع
عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير
ان تشيع عليه فيتقيك به ويستعد له او تذكره في غير
موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي ✿
لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحا فانه لا يخرج في
نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة ✿ ان اردت ان تكون

داهيا فلا تحين ان تسمى داهيا فانه من عرف بالدهاء خاتل علانيه وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف وان من ارب الا ريب دفن اربه ما استطاع حتى يعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه الا يورب العاقل المستقيم له الذى يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

ان اردت السلامة فاشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجرئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فاشعب لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفة من رأيك . ان ابتليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التى وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر فى امرك والجزاءة في قلبك حتي تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر

ان عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انصارك في الغلبة ان تحصى على نفسك العيوب والعورات

كلها تحصيها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله أو مشا كله فان كنت قارفت منه شيئا فاحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا حصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك واحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسيا مصبحا فاذا آنست منها دفعا لذلك أو تهاونا به فاعدد نفسك عاجزا ضائعا جانيا معورا لعدوك ممكنا له من رميك وان حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من أمن قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيبا فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك أو مثالب ابائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك امر يدك بذلك فلا تغفل عن التهيؤ له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سرا وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له ولا تشتغلن به فانه لا يهولك مالم يقع واذا وقع اضمحل

أعلم انه قلما بده احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند سلطان أو

يره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو
نه عند ذلك والذى يكون من انكساره وفتوره عند تلك
بداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

واعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها
للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام
بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم (١) ماعنده
وتطيخ عيناه الى ماليس عنده منهن وانما النساء اشباه ومايرى في
العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن
باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل
مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله منهن الى مافي
رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس
بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما فى رحال الناس
من الاطعمة أشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء.
ومن العجب او الرجل الذى لا بأس فى لبه يرى المرأة من
بعيد ملتفة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتي

(١) أجم الطعام وغيره كرهه وملّه

تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح واذم الدمامة فلا يعظه ذلك عن أمثالها ولا يزال مشغوفا بما لم يذق حتي لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأنا غير شأن ماذاق وهذا الحمق والشقاء ولم يحم نفسه ويظلفها ويجليها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان أيسر مايصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه في أمر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي أمر مروته عند الاهواء والشهوات وفي أمر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت أن تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأى وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذى تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم تزين هو الجمال

لايعجبنك العالم ما لم يكن عالماً بمواضع ما يعلم . ان غلبت على الكلام وقتا فلا تغلبن على السكوت فانه لعله ان يكون المراء واعرفه ولا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة ، واعلم ان الممارى هو الذى لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه خاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذى لايعدو بالخصومة الا اليه عدل صاحبه وعقله فان آنس أو رجا من صاحبه عدلا يقضى به على نفسه فقد أصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً

ان استطعت ألا تخبر أخاك عن ذات نفسك بشىء الا وأنت محتجن عنه بعض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان أحكام هذه الخلة من غرائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلاتلتمس الروح في مدافعتها والروغان منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر

عليها هو يخفها وان الضجر منها هو يرالها عليك فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض أصحاب لأعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس بكره تأخير فيكدر ذلك بنفسه كديرا يفسد ما كان فيه وماورد عليه حتي لا يحكم واحدا منها فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذى تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا تعظمن عليك فوت مافات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأى معماله وجعلت شغلك في حقه .
اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف رضي الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحسود .

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عي وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جورا ولا بيانك

هذرا ولا علمك جهلا فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقا بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجبا لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعة منك فازدجر عن العود فان التعجب من غير عجب سخف شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود . اياك والاخبار الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالى ممن سمع وذلك مفسده للصدق ومزارة بالرأى فان استطعت الا تخبر بشيء الا وأنت به مصدق ولا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل .

ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فان الكذب

اكثرما انت سامع وان السفهاء اكثرمن هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعيا وحاملا كان ما تعي و تحمل عن العامة اكثرها مما يخترع المخترع باضعاف

انظرمن صاحبت من الناس من ذوى فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخر نفسك عما اعتاض عليك مماقبله غير معاتب ولا مستبطىء ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشم وان الرضى بالعفو والمساحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمرؤة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكانك قد رضيت ما أتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموما فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمتثله فلتس ذلك لك ☆ لا تصاحبن احدا وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا ولدا الا بمروة فان كثيرا من

اهل المروة قد يحملهم الاسترسال أو التبذل على ان يصحبوا كثيرا من الخلطاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزله . لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأى ولا تجترين على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى في ذلك على ان يتعقبوا الكلامة بعدما تنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق

لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالا ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا اكرمت على دين او مروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لا تزايلك في الدنيا والدين لا يزايلك في الاخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت امن قتل في القتال مقبلا اكثر ممن قتل

مدبرا وانظر امن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخوا اليه نفسك بطلبته امن يطلب اليك بالشره * اعلم انه ليس كلا من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بت في مواطن المحاماة لم يحفل ماتركت مما سوى ذلك ولم يمن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك الا تذكره الا حيث يضره والا تعد يسير الضر ضرا * اعلم ان الرجل قد يكون حليما فيحمله الحرص على ان يقال جليد والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتا فيحمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله . اذا بدهك امران لاتدرى ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى. ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك

وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهـة عرضك وبقاء عزك . لا تجالس امراء بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعيي بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل مالايعرف وغمك اياه بمثل مايغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لايفقه واعلم انه ليس من علم تذكره وعند غير اهله الاعادوه ونصبوا له وانقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذى هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لايحضره فيثقل عليه ويغتم به . ليعلم صاحبك انك حدب على صاحبه واياك ان عاشرك امـرؤ ورافقك ان لايري منك باحد من اصحابه واخذ انه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب ماخـذا وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعا من لطفك به بنفسه . اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقـد على المنطلق ويشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأى والحديث تنكره

وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتى به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض من الرد وان كان في القوم من يكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطاء تخاف ان يعقد عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة . واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتا فان الصمت يدعوها اليك وناطقا بالحسني فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسهل سخيمة الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشى القصد من دواعى المودة اذ لم تخالط ذلك بأو ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت لجواب الى والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول واعلم ان المستشار ليس

بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأى كله غرر لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيى الحزمة ماامكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ماكنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوما وعذلا تقول انت فعلت هذابي وانت امرتني ولولا انت ولاجرم لااطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفه وان كنت انت المشير فعمل برأيك اوترك فبد صوابك فلا تمنن ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرر تقول الم أقل لك الم أفعل فان هذا مجانب لادب الحكماء. اعلم فيما تتكلم به صاحبك ان مما يهجن صواب ماتأتى به ويذهب بهجته ويزرى بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يقضى اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التى انت جدير بتركها اذاحدث ا" حديثا تعرفه الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه في

كانك تظهر للناس بأنك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذى يعلم وماعليك أن تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من أبواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة . واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة أو الفصاحة

اعلم أن بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء يدعو اليك ماتتقي . ان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا أو دعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء وتغير نفس عندما أعجز من الدنيا وغضب منك عليها مماالتوى عليك منها ولو تممت على رفضها وامسكت عن طلبها أو شكت ان تري من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول بأضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فأسرع اجابتها . اعرف عورتك وأياك أن تعرض بأحد فيما شاركها واذا ذكرت من أحد خليقته فلاتناضل عنه مناضلة

المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولاتلح كل الالحاح وليكن ما
كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب
واذا كنت في جماعة قوم أبدا فلا تعمن جيلا من الناس
وامة بشتم ولاذم فانك لاتدرى لعلك تناول بعض اعراض
جلسائك ولاتعلم. ولاتذمن مع ذلك اسماء الرجال والنساء
بأن تقول ان هذا لقبيح من الاسماء فانك لاتدري لعل ذلك
موافق لبعض جلسائك بعض اسماء الاهلين والحرم ولا
تستصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح
اللسان أشد من جرح اليد. اعلم أن الناس يخدعون انفسهم
بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم
ونقيصتهم وكل ذلك عين عند سامعيه من وضح الصبح فلا
تكونن من ذلك في غرور ولا تملن نفسك من أهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان
رأس ما اعظمه عندى صغر الدنيا في عينه كان خارجا من
سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد
وكان خارجا من سلطان ورجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا

يستخف له رأيا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين كان يري متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احداً على ما يكون العذر في مثله حتي يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولى ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوتــه فعليك بهذه الاخلاق ان طقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

عن نسخة وجدت في مكتبة عاشر افندى المرحوم شيخ الاسلام السابق بدار السعادة العلية

« تم الكتاب الدرة اليتيمة بعون الله سبحانا — —
والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله واصحابه
اجمعين

واتماما للفائدة قد زينا هذه الدرة بكتاب (الوطنية)
لان حب الوطن من الايمان والله سبحانه وتعالى هو المستعان